ملامح المنهج النقدي
في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية
لمكي بن أبي طالب

إعداد

د/ محمد بن مرضي الهزيل الشراري

الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية

جامعة الجوف – المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

ملامح المنهج النقدي في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب

محمد بن مرضي الهزيل الشراري
قسم الدراسات الإسلامية، جامعة الجوف ، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني : mmsh-1432@hotmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى بيان ملامح المنهج النقدي في تفسير "الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب، الذي يُعدّ من أبرز المصادر التي أسهمت في إثراء علم التفسير. فقد تميز هذا التفسير بجهود مؤلفه رحمه الله في تحرير مضامينه؛ حيث اجتهد في تدقيق المعاني واختيار الأساليب التي تسهم في فهم النصوص القرآنية بوجه أعمق وأوضح. ومن بين هذه الأساليب: كان النقد أحدَ أبرز الملامح التي جعلت من تفسير مكي منطلقًا للمراجعة الدقيقة للأقوال والتفسيرات المتعددة. وقد جاء هذا البحث كاشفًا عن أسس هذا المنهج النقدي الذي استخدمه مكيٌّ؛ حيث تَمَّ تحليل الأساليب النقدية التي اعتمد عليها، فضلا عن بيان صيغ النقد ومجالاته المختلفة في تفسيره. ومن خلال هذا البحث؛ يتم التأكيد على أن مكيًّا لم يكن مجرد ناقل للتفسير، بل كان ناقدًا حصيفًا، يعتمد على قواعد نقدية دقيقة في تقييم مختلف الآراء والتفاسير. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي؛ إذ تم استقراء النصوص المفسَّرة من كتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية"، وتحليل أسلوب مكيٍّ في نقد الأقوال. وقد تضمن هذا البحث مقدمة وخاتمة، تخللهما مبحثان اثنان؛ أحدهما: في أساليب النقد وصيغه التي استعملها مكي في تفسيره، بينما استعرض المبحث الآخر: أسس النقد ومجالاته التي تميز بها، موضحًا كيف كان قدَّم هذا المنهج النقدي رؤية عميقة ورصينة لكثير من القضايا التفسيرية.

الكلمات المفتاحية: ملامح، المنهج، النقدي، الهداية، مكي، القيسي.

Features of the critical approach In the interpretation of Al-Hidayah ila Bulugh al-Nihayah by Makki bin Abi Talib

Muhammad bin Marzi al-Hizil al-Sharari
Department of Islamic Studies ، Al-Jouf University ، Kingdom of Saudi Arabia
E-mail: mmsh-1432@hotmail.com

Abstract:
This study aims to clarify the features of the critical approach in the interpretation of "Al-Hidayah ila Bulugh al-Nihayah" by Makki bin Abi Talib, which is considered one of the most prominent sources that contributed to enriching the science of interpretation. This interpretation was distinguished by the efforts of its author, may God have mercy on him, in editing its contents; as he worked hard to scrutinize the meanings and choose the methods that contribute to understanding the Qur'anic texts in a deeper and clearer way. Among these methods: Criticism was one of the most prominent features that made Makki's interpretation a starting point for a careful review of the various sayings and interpretations. This research revealed the foundations of this critical approach that Makki used; as the critical methods he relied on were analyzed, in addition to clarifying the forms of criticism and its various fields in his interpretation. Through this research; It is emphasized that Makki was not just a transmitter of interpretation, but rather a prudent critic, relying on precise critical rules in evaluating various opinions and interpretations. The study relied on the descriptive analytical inductive approach; as the interpreted texts were extrapolated from the book "Al-Hidayah ila Bulugh al-Nihayah", and Makki's style in criticizing the sayings was analyzed. This research included an introduction and a conclusion, interspersed with two chapters; one of them: on the methods of criticism and its forms that Makki used in his interpretation, while the other chapter reviewed: the foundations of criticism and its areas that distinguished him, explaining how this critical approach provided a deep and solid vision for many interpretive issues.

Keywords: Features, Method, Criticism, Al-Hidayah, Makki, Al-Qaysi.

المقدمة

أحمد الله رب العالمين، وحده لا شريك له، وأصلي وأسلم على خاتم الرسل والأنبياء، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وأتباعهم أجمعين.

أما بعد، فإن مما ينبغي توجيه عناية الباحثين إليه: دراسة ملامح المنهج النقدي في التفسير، من خلال دراسة كتب التفسير المحررة؛ فهو باب من أهم أبواب أصول التفسير، التي ما زالت بحاجة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية؛ نظرا لأهمية جانب النقد وأثره البارز في علم التفسير.

وانطلاقا من هذه الأهمية فقد عزمت على دراسة: ملامح المنهج النقدي في تفسير الهداية لمكي بن أبي طالب؛ لما لهذا التفسير من أهمية بالغة، وقيمة علمية لا تجهل، فهو تفسير محرر، مدقق، خدم به صاحبه كتاب الله-عز وجل- خدمة جليلة، واجتهد في تحريره وتدقيقه بصورة جلية.

أهمية الموضوع:

ترجع أهمية هذا الموضوع إلى أمور عدةٍ، نجملها في النقاط الآتية:

أولا: أهمية جانب النقد وأثره البارز في علم التفسير؛ حيث يُعدُّ النقد ركيزة أساسية في عرض التفسير الصحيح للنصوص القرآنية، مما يساعد في كشف المفاهيم الدقيقة والرد على الآراء الضعيفة والشاذة.

ثانيًا: المكانة العلمية لتفسير مكيّ -رحمه الله تعالى-، الذي يُعد من المصادر الثرية التي ساهمت في إثراء مكتبة التفسير، وكان له دور كبير في الحركة التفسيرية لا سيَّما بالغرب الإسلاميِّ.

ثالثا: يتميز هذا التفسير في الجانب النقدي على وجه الخصوص بصورة واضحة وجلية؛ حيث أظهر مكيّ قدرة فائقة في نقد الآراء المختلفة وتحليلها وفقًا للمنهج العلمي، مما جعله رائدًا في هذا المسلك.

أسباب اختيار الموضوع:

تعود أسباب اختيار هذا الموضوع إلى دوافع مختلفة:

أولها: الحاجة إلى بيان ملامح المنهج النقدي في تفسير مكي، وذلك لأن هذا التفسير يعدّ من المصادر القيمة التي تعكس اجتهادًا علميًا بالغ الأهمية في تفسير القرآن الكريم.

ثانيًا: الحاجة إلى دراسة التميز الواضح الذي ظهر في الجانب النقدي لهذا التفسير، والذي يميز مكي بن أبي طالب عن غيره من المفسرين.

ثالثًا: مساهمة تنوع أساليب النقد وصيغه وأسس نقده في هذا التفسير في تعزيز الفهم العميق لكيفية تناول المفسر للقضايا الفكرية والنقدية المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، مما يجعل دراستها مفيدة في سياق تحليل مناهج المفسرين.

مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ما ملامح المنهج النقدي في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية للعلامة مكي بن أبي طالب القيسي؟

ويتفرع على هذا السؤال الرئيس أربعة أسئلة فرعيَّةٍ؛ وهي:

١- ما أبرز أساليب النقد في تفسير مكيّ؟

٢- ما صيغ النقد في تفسير مكيّ؟

٣- ما أسس النقد في تفسير مكيّ؟

٤- ما مجالات النقد في تفسير مكيّ؟

أهداف البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق عدة أهداف رئيسة:

أولها: استعراض الأساليب النقدية المتبعة في تفسير مكيّ.

ثانيها: تحليل صيغ النقد التي استعملها مكيّ في تفسيره.

ثالثها: استكشاف الأسس التي قام عليها المنهج النقدي في هذا التفسير.

رابعها: الوقوف على المجالات المختلفة للنقد عند مكيٍّ في تفسيره.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة سابقة اختصت ببيان ملامح المنهج النقدي في هذا التفسير، وإنما توجدُ دراسات متعلقة بمكيّ أو بتفسيره، ومنها:

١- فرحات، أحمد حسن، (١٩٩٧م ١٤١٨هـ)، مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن، الطبعة: الأولى، عمان، الأردن، دار عمار.

٢- جده، محمد بن ناصر يحيى، (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)، اختيارات مكيّ بن أبي طالب في كتابه: الكشف عن أوجه القراءات السبع، دراسة موازنة، الرياض، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود.

٣- أبو صقر، إسلام حسني محمد، (١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م)، اختيارات مكيّ بن أبي طالب القيسي في كتابه: الكشف عن وجوه القراءات، دراسة لغوية تحليلية، غزة: رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية.

٤- جلال، يحيى أحمد سلمان، (٢٠٠٦م)، قواعد الترجيح والاختيار في القراءات عند الإمام مكي بن أبي طالب القيسي، الأردن، رسالة ماجستير بالجامعة الأردنية.

٥- البوشيخي، الشاهد،(١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية لمكيّ بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، الطبعة: الأولى، الشارقة، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة.

إلى جانب الدراسات الأخرى المتعلقة بمكيّ أو بتفسيره، التي لا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالموضوع الدقيق لهذه الدراسة، إذ إن هذا البحث ينفرد بتقديم تحليل دقيق لملامح المنهج النقدي في تفسير "الهداية إلى بلوغ النهاية"، وهو ما لم أقف على أحدٍ بحثَهُ -في حدود اطِّلاعي-.

منهج البحث:

سلكت في تحرير هذا البحث المنهج الاستقرائي الوصفي؛ وذلك بِجَرْدِ تفسير الهداية كلِّهِ، واستخراج مواضع النقد فيه، ثم تصنيفها، وانتقاء نماذج تخدم أهدافَ هذا البحث وغاياتِهِ.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن تنتظم في: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين اثنين، وخاتمة.

أما المقدمة؛ فتشتمل على أهمية الموضوع، وأهدافه، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد ففي التعريف الموجز بمكي بن أبي طالب وتفسيره.

وأما المبحث الأول؛ فهو: أساليب النقد وصيغه في تفسير الهداية.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أساليب النقد في تفسير الهداية.

المطلب الثاني: صيغ النقد في تفسير الهداية.

وأما المبحث الثاني؛ فهو: أسس النقد ومجالاته في تفسير الهداية.

واشتمل على مطلبين أيضًا:

المطلب الأول: أسس النقد في تفسير الهداية.

المطلب الثاني: مجالات النقد في تفسير الهداية.

ثم الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

وبعد، فهذه إشارات إلى ملامح المنهج النقدي في تفسير الهداية لمكي، نفع الله بها، وجعلها طريقا للسالكين من الباحثين لدراسة معالم المنهج النقدي في علم التفسير.

الباحث

التمهيد: في التعريف الموجز بمكي بن أبي طالب وتفسيره

أولا: التعريف بمكي بن أبي طالب:

هو أبو محمد، مكي بن أبي طالب بن حَمُّوش بن محمد بن مختار القيسي المقرئ؛ أصله من القيروان، وانتقل إلى الأندلس، وسكن قرطبة، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، وكان حسن الفهم والخُلق، جيد الدين والعقل، كثير التأليف في علوم القرآن، محسناً لذلك، مجوداً للقراءات السبع، عالماً بمعانيها.

ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة ٣٥٥هـ، ونشأ بالقيروان وترعرع، وسافر إلى مصر وهو ابن ثلاث عشرة سنة، واختلف بها إلى المؤدبين والعارفين بعلوم الحساب، ثم رجع إلى القيروان، ثم عاد إلى مصر ثانية بعد استكماله القراءات بالقيروان، وذلك في سنة سبع وسبعين، فحج في تلك السنة حجة الإسلام، ثم ابتدأ بالقراءات على أبي الطيب عبد المنعم ابن عبيد الله بن غلبون الحلبي المقرئ بمصر في أول سنة ثمان وسبعين، فقرأ عليه بقية السنة وبعض سنة تسع، ورجع إلى القيروان وقد بقي عليه بعض القراءات. ثم عاد إلى مصر مرة ثالثة في سنة اثنتين وثمانين، فاستكمل ما بقي له، ثم عاد إلى القيروان في سنة ثلاث وثمانين، وأقام بها يقرئ إلى سنة سبع وثمانين، ثم خرج إلى مكة، وأقام بها إلى آخر سنة تسعين، وحج أربع حجج متوالية، ثم رجع من مكة سنة إحدى وتسعين، فوصل إلى مصر، ثم رحل منها إلى القيروان في سنة اثنتين وتسعين، ثم ارتحل إلى الأندلس، وقدمها في رجب سنة ٣٩٣هـ، وجلس للأقراء بجامع قرطبة، فانتفع به خلق كثير، وجودوا عليه القرآن، وعظم اسمه وجل فيها قدره، وأقام في الخطابة إلى أن مات، -رحمه الله تعالى-.

وكان خيراً فاضلاً متواضعاً متديناً مشهوراً بإجابة الدعاء، وله في ذلك أخبار، وله تصانيف كثيرة نافعة فمنها: "الهداية إلى بلوغ النهاية" في معاني القرآن

الكريم وتفسيره وأنواع علومه، وكتاب "التبصر في القراءات"، وله في القراءات واختلاف القراء وعلوم القرآن تصانيف كثيرة. وتوفي يوم السبت عند صلاة الفجر، ودفن يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرم سنة ٤٣٧هـ بقرطبة –رحمه الله تعالى– (١).

ثانيا: التعريف بتفسير الهداية إلى بلوغ النهاية:

لا نجد من يعرفنا بتفسير الهداية لمكي أفضل من مكي نفسه؛ حيث قال في مقدمة تفسيره: هذا كتاب جمعته فيما وصل إلي من علوم القرآن الكريم، واجتهدت في تلخيصه وبيانه واختياره واختصاره، وتقصيت في ذلك ذكر ما وصل إلي عن الصحابة والتابعين، ومن بعدهم في التفسير دون الشاذ، وما تذكرته وقت تأليفي له. وذكرت المأثور من ذلك عن النبي ﷺ، وأضربت عن الأسانيد ليخف حفظه على من أراده.

جمعت فيه علوماً كثيرة، وفوائد عظيمة؛ من تفسير مأثور، أو معنى مفسر، أو حكم مبين، أو ناسخ أو منسوخ، أو شرح مشكل أو بيان غريب، أو خفي المعاني، إلى غير ذلك من فنون علوم القرآن الكريم؛ من قراءة غريبة، أو إعراب غامض، أو اشتقاق مشكل، أو تصريف خفي، أو تعليل نادر، أو تصرف فعل مسموع مع ما يتعلق بذلك من أنواع علوم يكثر تعدادها ويطول ذكرها. ذكرت فيه ما وصل إليّ علمه عن العلماء والفقهاء والقراء، ورواية الثقات من أهل الرواية، ومباحثات أهل النظر والدراية.

قدمت في أوله نبذاً من علل النحو والإعراب، ثم أقللت من ذلك فيما بعد؛ لئلا يطول الكتاب، ولأنني صنفت في ذلك كتاباً مختصراً في شرح مشكل الإعراب خاصة، ولأن غرضي منه إنما هو تفسير التلاوة، وبيان القصص والأخبار،

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (١٩٠٠-١٩٩٤م)، وفيات الأعيان، دار صادر – بيروت، (٥/ ٢٧٤).

وكشف مشكل المعاني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول. وبينت ما أشكل لفظه من أقاويل المتقدمين بلفظي ليقرب ذلك إلى فهم دارسيه، وربما ذكرت ألفاظهم بعينها إذا لم يشكل. وسميته: "الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه".

وجمعت أكثره من كتاب شيخنا الأدفوي –رحمه الله–، وهو الكتاب المسمى بكتاب (الاستغناء). مع ما أضفت إلى ذلك من الكتاب الجامع في تفسير القرآن للطبري، وما تخيرته من كتب النحاس، وكتاب الزجاج، وتفسير ابن عباس، وابن سلام، ومن كتاب الفراء، ومن غير ذلك من الكتب. انتخبته من نحو ألف جزء أو أكثر، مؤلفة في علوم القرآن.

نرجو انتفاع دارسيه واكتفائهم به عن سائر كتب التفسير والمعاني وعلوم القرآن الكريم.»[1]

(١) القيسي، مكي بن أبي طالب، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية، الطبعة: الأولى، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة، (١/ ٧٢ – ٧٦).

المبحث الأول:

أساليب النقد وصيغه في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب.

يُعَدُّ كتاب "الهداية إلى بلوغ النهاية" لمكي بن أبي طالب من أبرز التفاسير التي تجمع بين دقة التحليل وثراء النقد، مما يعكس نضج المنهج التفسيري في العصر الأندلسي في الفترة الزمنية التي عاش فيها المصنف –رحمه الله تعالى– (٣٥٥هـ – ٤٢٧هـ)، وفي هذا المبحث نهدف إلى استكشاف أساليب النقد وصيغه في هذا التفسير، مُظهِرين أثرها في توجيه المعاني، من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: أساليب النقد في تفسير الهداية.

من خلال استقراء تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب؛ اتضح لنا تنوع أساليبه النقدية التي تتسم بالعمق والشمول، ويمكن تصنيفها إلى محاور عدةٍ رئيسة، بيانها على النحو التالي:

أولا: ذِكْرُ القولِ معزوًّا إلى قائله، ثم نقده، مع بيان مستند النقد.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ في قول الله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١] "وقال الإمام الزجاج[١]: كاف (كما) متعلقة بما يليها، والتقدير: فاذكروني كما أرسلت...".

ويرد هذا القولَ بِأَنَّ الأمر حينما يكون له جواب؛ لا يتعلق ما قبله به لاشتغاله بالجواب...[٢]

أورد مكي بن أبي طالب القول بأن الكاف متعلقة بما بعدها، ونسبه إلى الزجاج، ثم تعرَّض لهذا القول بالنقد، مستندًا في اعتراضه إلى أن الأمر إذا كان له جواب؛ فإنه لا يمكن أن يتعلَّق به ما قبله؛ لانشغاله بجوابه.

---

(١) الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، معاني القرآن وإعرابه، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب، (١/ ٢٢٧).

(٢) القيسي، مكي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، (١/ ٥١٠، ٥١١).

ولم يرتض أبو حيان ما ذهب إليه مكيّ، معللا ذلك بقوله: ليس بشيء؛ إذ الكاف، إما أن تكون للتعليل، أو للتشبيه. فعلى كونها للتعليل يجوز تقديمها على الفعل، وعلى كونها للتشبيه، تكون نعتا لمصدر محذوف، جائز تقدمه على الفعل... وتجويز مكيّ ذلك تشبيها بالشرط الذي يجاوب بجوابين، وقوله إنهما جوابان للأمر ليس صحيحا؛ حيث إن (كما) ليست جوابا، ومن ثم فالتشبيه هنا فاسد؛ لكون التعليل والمصدر لا يشبه.(١)

ومن ثم قال السمين: وهذا الذي منعه مكيّ قال الشيخ: «لا نعلم خلافاً في جوازِه».(٢)

ومن أمثلة ذلك أيضا: قول مكيّ في تفسير قول الله عز وجل: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ﴾ [الشورى: ٥]: "أي: تكاد السماوات تشقق من فوق الأرضين من أثر عظمة الله رب العالمين. وإلى هذا ذهب جميع المفسرين...وقال علي بن سليمان(٣): الضمير الكائن في ﴿فَوۡقِهِنَّۚ﴾ للكفار، أي: من فوق الكفار، ولكن هذا القول بعيد، لا يجوز في ذكور بني آدم أن يقال: رأيتهن".(٤)

فقد ذكر القول بأن الضمير في ﴿فَوۡقِهِنَّۚ﴾ للكفار، وعزاه لعلي بن سليمان، ثم ردَّهُ، مع بيان مستند النقد من أنَّ تأنيث الضمير لا يجوز مع الذكور العاقلين.

ووافق الآلوسيُّ مكيًّا فيما ذهب إليه من استبعاد هذا القول حيث قال: "وفي هذا القول إشارة إلى أن تفطر السماوات بسبب أقوالهم، ولا يخفى بعده"(٥)

(١) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر، (٢/ ٤٦).

(٢) السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق، (٢/ ١٨٢).

(٣) أبو الحسن، على بن سليمان بن الفضل، الأخفش الصغير، النحوىّ، قَرَأَ على اليزيدي والمبرد وثعلب ،وتوفى سنة ٣١٥هـ. القفطي، علي بن يوسف، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م)، إنباه الرواة، الطبعة: الأولى، القاهرة - بيروت، دار الفكر العربي- ومؤسسة الكتب الثقافية، (٢/ ٢٧٦).

(٤) القيسي، مكي، الهداية، (١٠/ ٦٥٥٦).

(٥) الآلوسي، السيد محمود البغدادي،(١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، روح المعاني، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (١٣/ ١٣).

ثانيا: ذكر القول دون عزوهِ إلى قائله، ثم نقده، وبيان مستند النقد.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: "قال بعض النحويين[١] في معنى ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ [البقرة:]: أتريدون. أو هي منقطعة عما سبقها، كالقول الوارد عن العرب: "إنها لإبلٌ أم شاء"[٢]. وهو قول بعيد وغير صحيح في كلام العرب، إلا من باب الشك من المتكلم، وعليه فهو لا يليق بمقام القرآن".[٣]

فذكر مكيّ القول بأن (أم) منقطعة عما قبلها، من غير تنصيص على القائلِ مَن هو، ثم اعترض عليه، وبيَّن مستند النقد والاعتراض؛ من أنه لا يصح في أكثر كلام العرب إلا إذا دلَّ على شك طرأ على المتكلم، وهو ما لا يمكن نسبته إلى القرآن الكريم.

ومن أمثلة ذلك أيضا: ما حكاه مكيّ عن بعض أهل النظر في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١١] من أن في الآية تقديما وتأخيرًا؛ وتقديره: ولقد خلقناكم، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم، ثم صورناكم. ثم ذكر استبعاد النحويين لهذا القول، معللين ذلك بأن (ثم) لا يراد بها التقديم على الخبر المتقدم عليها. وأن الإمام النحاس[٤] وغيره أنكروا هذا القول.[٥]

---

(١) ذهب أبو عبيدة إلى أن أم بمعنى ألف الاستفهام، وذكر عن أهل التحقيق من النحويين أن أم لا تأتي بمعنى الألف، وأنها في قوله: {أم تريدون} منقطعة، بمعنى: بل والهمزة، والتقدير: بل أتريدون. البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٣٩٣ – ١٤١٤هـ)، شرح أبيات مغني اللبيب،الطبعة: (جـ ١ – ٤) الثانية، (جـ ٥ – ٨ الأولى)، بيروت، دار المأمون للتراث، (١/ ٢٣٥).

(٢) على تقدير: بل شَاء، فهي بمعنى:(بل). الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٢م)، رسالة منازل الحروف، عمان، دار الفكر، (ص٥٨).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٩٤).

(٤) النحاس، أحمد بن محمد المرادي، إعراب القرآن، (١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، (٢/ ٤٦). النحاس، أحمد بن محمد المرادي، (١٤٠٩هـ)، معاني القرآن، الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، (٣/ ١٢).

(٥) القيسي، مكي، الهداية، (٤/ ٢٢٩٥).

فذكر مكيّ القول بأن في الكلام تقديما وتأخيرا، دون عزوه إلى قائله، وجعلُهُ القائلَ من أهل النَّظر لا ينافي عدم تعيين القائل؛ إذ إنَّ أهلَ النَّظر أفرادٌ لا حصرَ لهم. ثم نقد مكيٌّ هذا القولَ وردَّهُ، وبيَّن مستند الردِّ والنقد، من أن "ثم" لا يراد بها التقديم على الخبر المتقدم عليها، بل تفيد التراخي والترتيب الزمني أو المعنوي، مما يجعل القول بالتقديم والتأخير في هذا السياق مخالفًا لقواعد الاستعمال اللغوي المعروفة.

ثالثا: ذكر الأقوال معزوة إلى أصحابها، واختيار قول منها، مع ذكر الدليل.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ في قول الله تعالى: ﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة: ٨١]: "يعني مات كافرا، أو عاصيا، فيما روي عن الربيع بن خثيم[(١)]، وعن السدي: هي الذنوب. يريد: الكبائر. والأول: أولى؛ لأن الله لم يتوعد بالخلود في النار إلا أهل الشرك"...[(٢)]

فقد ذكر مكيّ قولين اثنين، واختار منهما القول الأول، وهو قول الربيع بن خثيم أن المعنى: مات كافرا، مستدلا بأن الله لم يتوعد في النار بالتخليد إلا أهل الشرك.

وما ذهب إليه مكيّ هو ما رجحه ابن جرير الطبري؛ إذ قال: "وإنما قلنا: إن هذه السيئة التي ذكرها الله هنا وتوعد من اقترفها بالخلود في النار، إنما أراد بها بعضا من السيئات دون بعض؛ لأن الخلود في النار إنما يكون للكافرين لا للمؤمنين".[(٣)]

---

(١) الربيع بن خُثَيم بن عائذ بن عبد الله الثوري، أبو يزيد الكوفي، ثقة، عابد، مخضرم، قال له ابن مسعود: لو رآك رسول الله ﷺ لأحبك مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين. العسقلاني، ابن حجر، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، تقريب التهذيب، الطبعة: الأولى، دار الرشيد – سوريا، (ص٢٠٦).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٢٩).

(٣) الطبري، محمد بن جرير،(١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، جامع البيان، الطبعة: الأولى، القاهرة، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، (١٨٠/٢).

ومن أمثلة ذلك أيضا: قول مكيّ: "معنى ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥]: لا إثم على أزواجه ﷺ في الظهور لمن ذُكِرَ من الآباء والمحارم. **وعن مجاهد** قال: لا إثم عليهن في وضع جلبابهن أمام المذكورين. **وعن قتادة قال:** رُخص لهن في عدم الاحتجاب ممن ذُكِرَ. قال مكيّ: **وهو أليق بسياق الآية.**[١]

فقد ذكر مكيّ الأقوال، واختار منها قول قتادة، مستدلا بأنه أليق بالسياق؛ إذ إن السياق يعد من مسالك في الترجيح بين أقوال المفسرين، وهو مُعينٌ على فهم المعاني الكلية، ورابطٌ الجزئياتِ بمقاصد النَّص، ولذا عدَّ أهل العلم إغفالَ السِّياقِ غلطًا في النَّظر ومغالطةً في المناظرةِ.

رابعا: ذكر الأقوال دون عزوها لقائليها، والجمع بينها، مع ذكر الدليل.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: في قول الله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ الآية [النساء: ١٠٥]: "إنا أنزلنا إليك القرآن يا محمد لتحكم بين الناس بما أراك الله من الكتاب الذي أنزله إليك، ولا تكن لأي خائنٍ خصيما.

وقد تعددت الروايات الواردة في سبب نزول الآية، وكلها ترجع إلى معنى واحد، وخلاصة القصة أن منافقا اسمه: طعمة بن أبيرق[٢] سرق درعاً لعمة كانت عنده وديعة...وذكر السدي: أن المراد بالخيانة المذكورة: الوديعة التي استودعها اليهودي عند طعمة بن أبيرق... [٣]

(١) القيسي، مكي، الهداية، (٤/ ٢٢٩٥).

(٢) طُعْمَة بن أُبَيْرِق بن عَمْرو بن حَارِثة بن ظفر بن الخَزْرج بن عمرو، شهد المشاهد كلها مع رسول اللَّه ﷺ إلا بدراً، ذكره أبو إسحاق المُسْتَمْلي في الصحابة. وقيل: أبو طعمة بشير بن أُبَيْرق الأنصاري. وطعمه يُتَكلَّم في إيمانه. الجزري، ابن الأثير، (١٣٩٠ – ١٣٩٣ هـ)، أسد الغابة، كتاب الشعب، القاهرة – مصر، (٣/ ٧٥).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (٢/ ١٤٥٨).

فقد حرص مكيٌّ على بيان أن الروايات الواردة في سبب نزول الآية مع اختلاف تفاصيلها وظروفها تصب في معنى واحد يجمعها جميعًا؛ حيث أشار إلى أن جوهر القضية يكْمُنُ في وقوع الخيانة من طعمة بن أبيرق، سواء أكانت الخيانة في صورة سرقة الدرع أم في التصرف بالوديعة التي استؤمن عليها.

وهذا يعكس منهج مكيٍّ في التوفيق بين الروايات المختلفة دون تعارض؛ حيث عدَّ الاختلاف بينها لا يغيّر المعنى الأساسي الذي أرادت الآية إبرازه، بل هو اختلاف تنوع في التفاصيلِ، يثري التفسير ويعزز الفهم المتكامل للنص.

ومن أمثلة ذلك أيضا: قوله في تفسير قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] "فيها قراءتان، فمن قرأ:(لساحر) أراد النذير ساحر، فقصد النبي ﷺ. ومن قرأ:(لسحر)[1] أراد الذي أنذرنا به، أي: القرآن سحر. ومرجعهما إلى معنى واحد؛ لأنهم إذا جعلوه ﷺ ساحراً، فقد أرادوا أنه أتاهم بالسحر المتمثل في القرآن، وإذا جعلوا القرآن سحراً فقد أرادوا أنه ﷺ ساحر: لأنه الذي آتاهم به؛ إذ السحر لا يأتي إلا من ساحر، والساحر لا يسمى كذلك حتى يأتي بالسحر.[2]

فقد ذكر مكيّ القراءتين الواردتين في الآية، ثم بيَّن أنهما ترجعان إلى معنى واحد، مع ذكر الدليل.

ومن هنا، يتبين أن منهج مكي في الجمع بين القراءتين يقوم على التوفيق بينهما بحيث يعكس المعنى الواحد؛ وهو اتهام الكافرين للنبي ﷺ بالتحايل والخداع. فقد ذكر مكي القراءتين "لساحر" و"لسحر"، ثم خَلُصَ أن كلتيهما تعود

(١) قراءة: {لَسَاحِرٌ مُبِينٌ} بالألف هي قراءة الكوفيين وابن كثير، وقراءة: {لَسِحْرٌ} بغير ألف قراءة الباقين. الداني، عثمان ابن سعيد الأندلسي، (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م)، التيسير في القراءات السبع، الطبعة: الأولى، حائل – المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع، (ص٣٧٥).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٥/ ٣٢١٥).

إلى المعنى نفسه؛ إذ إنَّه إذا نسبوا السحر للنبي ﷺ، فلازم ذلك أنهم يتهمونه بأنه جاءهم بالسحر المتمثل في القرآن، وإذا عدّوا القرآن سحرًا؛ فإن ذلك يعود إلى كونه نزل على النبي ﷺ الذي جلبه إليهم.

قال أبو علي الفارسي: قراءة (سحر) يدل عليها قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٠]. وقراءة: (ساحر) يدل عليها قوله: ﴿وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص: ٤]... ومن قرأ الأولى أراد القرآن، ومن قرأ الأخيرة أراد محمدا ﷺ.(١)

خامسا: ذكر الأقوال مع عزو بعضها لقائليها، وترك بعضٍ دون عزو.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: معنى قوله: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ [طه: ٢٢] إلى قوله: ﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ [طه: ٣٥]: واضمم يدك فضعها تحت عضدك. **وعن مجاهد:** إلى جناحك؛ أي: كفه في عضده... **وقيل:** أمر أن يدخل يده في ثيابه مما يلي صدره وعضده...**وعن أبي عبيدة:** إلى جناحك: إلى ناحية جنبك...**وقيل:** إلى جناحك أي إلى صدرك، ففعل...(٢)

فقد ذكر الأقوال الواردة في الآية وعزا بعضها، وترك بعضًا بلا عزو، ولم يرجح قولا منها، على أنه قد يُفهم منه تضعيفٌ لآخر قولٍ؛ بتصديره له بلفظ (قيل)، وهي من الألفاظ التي تُستعمل كثيرًا في تضعيف القولِ، وإن لم يكن هذا أمرًا مطَّردًا.

(١) الفارسيّ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو علي،(١٤١٣هـ – ١٩٩٣م)، الحجة للقراء السبعة، الطبعة: الثانية، دمشق، بيروت، دار المأمون للتراث، (٤/٢٥١، ٢٥٢).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٧/ ٤٦٢٩).

قال البيضاوي: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ أراد جنبك؛ إذ كل ناحية يقال: لها جناح، ففي الآية استعارة[1] من جناحي الطائر؛ لأنه يجنحهما أثناء الطيران.[2]

ومن أمثلة ذلك أيضا: قوله: ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ [البقرة:].**أي:** أشربوا حب العجل بسبب كفرهم. **وقيل:** سقوا من الماء الذي ذري فيه براية العجل. **وعن السدي:** شربوا من الماء الذي ذري فيه سحالة[3] العجل.

وأولى هذه الأقوال أن المراد: حب العجل؛ لأنه لا يقال في الماء: أشربته مرادا به سقيته.[4]

فمكيّ –رحمه الله تعالى– ذكر ما قيل في معنى الآية، وعزا قولا منها للسدي، وأبهم النَّقل في قول آخر، ثم رجح القول الأول منها، مستدلا على ما رجحه.

وقد وافق مكيّ الطبري فيما رجحه؛ حيث اختار الطبري أن المعنى: وأشربوا

(١) الاستعارة هي أن ذكر أحد طرفي التشبيه مرادا به الطرف الآخر، مدعيا دخول المشبه في جنس المشبه به، دالا على ذلك بإثبات ما يخص المشبه به للمشبه، كما في قولنا: إن المنية أنشبت أظفارها، ونريد بالمنية: السبع، بادعاء السبعية لها، وإنكار أن تكون شيئاً غير سبع، فنثبت لها ما يخص المشبه به وهو الأظفار. السكاكي، يوسف بن أبي بكر، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (ص٣٦٩).

(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي،(١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (٤/ ٢٦).

(٣) السحالة: ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما إذا بردا. وسحالة البر والشعير: قشرهما إذا جردا منه، وكذلك غيرهما من الحبوب كالأرز والدخن. وما تحات من الأرز والذرة إذا دق شبه النخالة فهي أيضا سحالة، وكل ما سحل من شيء فما سقط منه سحالة. والسحالة: ما تحات من الحديد وبرد من الموازين. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٤١٤هـ)، لسان العرب، الطبعة: الثالثة – دار صادر – بيروت، (١١/ ٣٢٩) مادة (سحل).

(٤) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٥٢).

في قلوبهم حب العجل؛ لأنه يقال في حب الشيء: أشرب قلب فلان حب كذا، ولا يقال في الماء: أشرب فلان في قلبه؛ لأن العجل لا يشرب القلب، وإنما يشرب حبه...[١]

سادسا: ذكر الأقوال، وذكر اختيار بعض المفسرين لأحدها، مع ذكر الدليل.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: "معنى قوله: ﴿**وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ**﴾ الآية [البقرة: ٢٣]: إن كنتم شاكين في أن القرآن ليس من عند الله فأتوا بسورة من مثل القرآن. **أو:** من مثل محمد ﷺ في صدقه وأمانته. وعن ابن كيسان[٢]: أنهم زعموا أن محمداً شاعر ... وقيل: من مثل التوراة والإنجيل.

واختار الطبري[٣]: من مثل القرآن في بيانه، بدليل:﴿**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ**﴾ [يونس:]. ولا يحسن هنا إلا ذلك، فحملهما على معنى واحد أولى...[٤]

فمكيّ ذكر الأقوال الواردة في تفسير الآية المتعلقة بالشك في القرآن، مع عرض الاختيارات المختلفة للمفسرين، ثم أشار إلى اختيار الطبري الذي يرى أن المقصود هو التحدي بإتيان سورة مثل القرآن في بيانه، مستندًا إلى آية سورة يونس، ورغم عرض مكي لهذه الأقوال واختيار الطبري، فإنه لم يقدم ترجيحًا بين الأقوال خاصًا به، اكتفاءً بمتابعتهِ ترجيحَ إمام المفسرين ابن جرير.

ومن أمثلة ذلك أيضا: قوله في معنى قول الله عز وجل: ﴿**إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا**﴾ [طه: ١٥]: إن القيامة جائية أكاد أسترها. وعن ابن عباس: لا

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، (٢/ ٢٦٥).

(٢) عبد الرحمن بن كيسان، أبو بكر الأصم، فقيه، معتزلي، مفسر، قال ابن المرتضى: كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم. له تفسير عجيب. وله تصانيف كثيرة ذكرها النديم في الفهرست. توفي سنة ٢٢٥هـ. الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية – بيروت، (١/ ٢٧٤، ٢٧٥).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (٣٩٧/١، ٣٩٨).

(٤) السابق، (١/ ١٩٠، ١٩١).

أظهر عليها غيري. وعن مجاهد وابن جبير: أكاد أخفيها من نفسي... **واختار الإمام النحاس**[1]: **أن الساعة آتية أكاد. أي: أكاد آتي بها...** ثم ابتدأ بقوله: (أخفيها)؛ لأنه تعالى قد أخفى وقتها.[2]

فذكر مكيّ بن أبي طالب الأقوال الواردة في تفسير الآية، ثم ذكر اختيار النحاس لأحد الأقوال، ولم يتعقَّبه، مما يومئ إلى متابعته اختيارَ النحاسِ.

سابعا: ذكر الأقوال، مع التوقف في الترجيح بينها.

ومن الأمثلة الدالة ذلك: قوله: "وأكثر المفسرين على أن أول ما نزل من القرآن الكريم: **﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ... مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾** [العلق: -]. وقيل: المدثر، **والله أعلم بأي ذلك كان** أولا.[3]

وقد أورد الإمام السيوطي عدة أقوال في أول ما نزل من القرآن:

أحدها – وهو الصحيح–: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:]؛ لما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت: "أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم... ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:] حتى بلغ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:].[4]

القول الثاني: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر:] ؛ روى الشيخان عن سلمة بن عبد الرحمن قال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ قلت: أو ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ: "إني جاورت بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت فنظرت أمامي وخلفي

(١) النَّحَّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي، إعراب القرآن، (٣/ ٢٥).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٧/ ٤٦٢٤).

(٣) السابق، (١/ ٧٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، (٤/ ١٨٩٤) رقم ٤٦٧٠، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ١٣٩)، رقم ٢٥٢.

وعن يميني وشمالي ثم نظرت إلى السماء فإذا هو يعني جبريل فأخذتني رجفة فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: -].[١]

القول الثالث: سورة الفاتحة.

القول الرابع: بسم الله الرحمن الرحيم.[٢]

والذي يبدو لي رجحانه هو القول الأول الذي رجحه الإمام السيوطي، وهو أن أول ما نزل من القرآن صدر سورة العلق، على أنه لا تعارض بين هذا القول والقول الثاني القائل بأن أول ما نزل هو صدر سورة المدثر؛ لأن رواية جابر بن عبد الله تبين لنا أنه كان يتحدث عن فترة الوحي، وبالتالي فأول ما نزل صدر سورة العلق، ثم فتر الوحي فنزل صدر سورة المدثر، ومن ثم فلا تعارض بين رواية عائشة ورواية جابر –رضي الله عنهما–

وأما توقف مكي بن أبي طالب في الترجيح بين ما ورد من أقوال في ذلك فهو من باب التورع، أو لتعارض الأدلة أو خفائها عنده.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، (٤/ ١٨٧٤) رقم ٤٦٣٨، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، (١/ ١٤٤) رقم ٢٥٧.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م)، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١/ ٩١).

المطلب الثاني: صيغ النقد في تفسير الهداية.

تنوعت أساليب النقد في هذا التفسير، مما يعكس عمق النظر والتدقيق في تحليل الأقوال وتقييمها. وقد ظهرت هذه الأساليب في صيغ عدةٍ تعبر عن التباين في قوة الآراء وقربها من الصواب أو بعدها عنه. ومن أبرز هذه الصيغ:

أولا: هذا بعيد، ذلك بعيد، بعيد جدا، وفي هذا القول بُعْدٌ أو فيه بعدٌ، وهو بعيد، بعيد ضعيف، وهو بعيد في العربية.

وقد ورد قوله: (هذا بعيد) في عشرة مواضع(١)، ومثاله: قول مكيّ: "(من) في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية [الأنعام:١١٧] للاستفهام، وهي في موضع رفع بالابتداء ... أو خفض بإِضْمَارِ الباء، أو نصب، و(أَعْلَمُ) أي: يعلم، **وهذا بعيد**؛ لأنه تلاه: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧]، ودخلت عليه الباء، فدَلَّ ذلك على أن (أَعْلَم) ليس بفعل؛ لأنه اتصل بالباء ... فالمعنى: الله أعلم بأهل الإضلال عن سبيله، وأعلم بالمهتدين إلى الحق من غيره".(٢)

ومأخذ مكي في نقده هذا؛ وهو بُعْدُ أن يكون "أَعْلَم" بمعنى "يعلم"؛ لأنه لو كان فعلا، لكان النظم القرآني واردًا هكذا: "وهو أَعْلَمُ المهتدين" أي: يعلَمُهُم، من غير افتقارٍ إلى إدخال حرف الجرِّ؛ إذ فعل العلم متعدٍّ بنفسِهِ، فأفاد هذا أن "أَعْلَم" في هذا السِّياق ليس فعلاً، بل اسمٌ.

وورد قوله: (وذلك بعيد) في أربعة مواضع(٣)، ومثاله: قول مكيّ: "قوله: ﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة: ١٠٤]... قرأ الأعمش(٤): أنظِرنا

(١) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٤٨٩)، (١/ ٧٨٠)، (٣/ ٢١٦٤)، (٣/ ٢٢٤٤)، (٤/ ٢٢٩٥)، (٧/ ٤٨٥٣)، (٨/ ٥٥٨٢)، (٩/ ٦٠٣٣)، (٩/ ٦١٧٦)، (١٠/ ٦٧٧٦).

(٢) السابق، (٣/٢١٦٤، ٢١٦٥).

(٣) نفسه، (١/ ٢٠٦)، (١/ ٣٨٥)، (٨/ ٥١٦٨)، (١٢/ ٨١٧٦).

(٤) الهُذَلي، يوسف بن علي بن جبارة، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، الكامل في القراءات العشر، (الطبعة: الأولى)، الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة سما للتوزيع والنشر، (ص٣٧٦).

-بقطع الألف وكسر الظاء- أي: أخرنا، **وذلك بعيد؛** لأنهم أمروا بالقرب منه والتلطف، ولم يؤمروا بالتأخير. وقيل: المراد بهذه القراءة: أمهلنا".[١]

ومأخذ مكي في نقده لتفسير "أنظِرنا" بمعنى "أخرنا" هو قرينة السياق؛ إذ سياق الآية يقتضي القرب والتلطف في الخطاب مع النبي ﷺ، وليس في طلب التأخير. فالآية جاءت لتوجيه المؤمنين إلى الأدب في الحديث مع النبي عليه الصلاة والسلام، مما يقتضي أنَّ حمل (أنظرنا) على معنى "أخرنا" غير متَّسق مع غرض الآية الكريمة.

وقد ورد قوله: (بعيد جدا) في خمسة مواضع[٢]. ومثاله: قول مكيّ: "قوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] فيه عشرة أوجه:.... تاسعها: ما ذهب إليه أبو حاتم[٣] من جواز تخفيف الهمزتين. **قال مكيّ: وهو بعيد،** ولم يقرأ به أحد...**وهو بعيد جدا**".[٤]

فيرى مكي أن وجه تخفيف الهمزتين في قوله تعالى: ﴿ءأنذرتهم﴾ في غاية الضَّعف؛ لأن هذا الوجه لا يستند إلى نقلٍ ثابتٍ؛ إذ لم يقرأ أحدٌ من القرّاء بتخفيف الهمزتين معًا[٥]، وإنَّما خلاف القراء في الهمزة الثانية، مما يجعل تخفيف الهمزتين معًا مخالفًا للمأثور في الرواية القرآنية.

وورد قوله: (وفي هذا القول بُعْدٌ) أو (فيه بُعْدٌ) في أربعةٍ وعشرين

(١) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٨٥).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ١٤٥، ١٦٩)، (٣/ ١٧٨١)، (٥/ ٣٢٣٣)، (١٠/ ٦٧٧٦).

(٣) سهل بن محمد، أبو حاتم السجستاني، عالم باللغة والشعر، له مصنفات كثيرة في اللغة والنحو والقراءة. وتوفي سنة خمسين أو خمس وخمسين ومائتين. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الطبعة: الثالثة، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار، (ص١٤٥).

(٤) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ١٤٥).

(٥) الخطيب، عبد اللطيف، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م)، معجم القراءات، الطبعة الأولى، دار سعد الدين، دمشق – القاهرة، (١/ ٣٥- ٣٧).

موضعًا[1]، منها في قول مكيّ: "قال قتادة: ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ يعني: لولي القتيل الذي عفا... وقال ابن أسلم[2]: فهو كفارة للفاعل، **وفي هذا القول بُعْدٌ**؛ لأنه لم يسبق ذكر للجارح، وإنما سبق ذِكرُ المجروحِ، فالهاء تعود عليه، وهو اختيار الإمام الطبري[3]".[4]

ومناط نقد مكي ههنا يتمثَّلُ في رفضه واستبعادِهِ قولَ ابن أسلم أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فهو كفارة له﴾ يعود على الفاعل (الجارح)؛ ووجه ذلك أنَّ الآية لم تَذْكُر الفاعل (الجارح)، بل ذَكَرت المجروح فقط، والأصل أن الضَّمير يعود على مذكورٍ متقدِّمٍ، وعوده على غير مذكورٍ وإن كان واردًا في فصيح الكلام إلَّا أنَّه جارٍ على خلاف مقتضى الظّاهر، وهو المسمى في علم البلاغة بـ: وضع المضمر موضع المظهر.

وورد قوله: (وهو بعيد) في ثمان وثلاثين موضعا[5]، ومثاله: قول مكيّ: "قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]... وحكى أبو إسحاق الزجاج أن (لعل) هنا بمعنى كي، **وهو بعيد**".[6]

واستبعاد مكي لكلام الزجاج في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لعلكم تتقون﴾ بمعنى "كي" يعود إلى أن "لعل" في هذا السياق مستعملةٌ في التعبير عن الرجاء والتمني، وليس بمعنى التعليل كما في "كي". فـ "لعل" في الآية تدل على رجاء حدوث

(١) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٢٠٦)، (٢/ ١١٤٥)، (٣/ ١٧٦٢)، (٦/ ٤١١٢)، (١٢/ ٨٠٦٣)، (١٢/ ٨١٩٦).

(٢) زيد بن أسلم العدوي، مولى عمر، أبو عبد الله، وأبو أسامة، المدني، ثقة، عالم، مات سنة ست وثلاثين. العسقلاني، ابن حجر، تقريب التهذيب (ص٢٢٢).

(٣) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، (٨/ ٤٧٩).

(٤) القيسي، مكي، الهداية، (٣/ ١٧٦٢).

(٥) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ١٤٥)، (١/ ١٨١)، (١/ ١٨٤)، (٢/ ١٠٩٨)، (٢/ ١٢٨٦).

(٦) السابق، (١/ ١٨٤).

التقوى من المخاطبين، بخلاف "كي" فإنها تستعمل للتعبير عن الغاية أو السبب. وعليه؛ فيرى مكي أن تفسير الزجاج بعيد عن سياق الآية ومعناها، لأن "لعل" لا تتحمل المعنى الذي أراده الزجاج.

وقد يكون تضعيف حمل (لعل) على معنى التعليل مبنيًّا على خلفيَّةٍ كلاميَّةٍ في نفس الحكمة والتَّعليل عن أفعالِ الله تعالى، وإلّا فالظاهر أن (لعل) يراد بها التَّعليل، كما ذهب إليه الزَّجاج، خلافا لمكيٍّ –رحمهم الله تعالى جميعًا–.

وورد قوله: (بعيد ضعيف) في موضع واحد، وذلك في تفسيره لقول الله تعالى ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة:]: "قال الأخفش: يجوز أن تخفف الأولى منهما وتحقق الثانية، ولم يقرأ بهذا أحد، وهو **بعيد ضعيف...**"[١]

ومناط استبعاد مكي لتفسير الأخفش القائل بجواز تخفيف الأولى من الهمزتين، وتحقق الثانية في قوله: "وهو بعيد ضعيف"؛ يعود إلى أن هذا الوجه لا يستند إلى نقل صحيح مقبولٍ، فلم يثبت عن أحدٍ من القراء الذين تلقَّت الأمة قراءتهم أنَّه خفَّف الهمزة الأولى وحقق الثانية، وإنَّما المنقول عنهم عكس ذلك كما في قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو من السَّبعة، أو تحقيق الهمزتين معًا، كقراءة ابن عامر والكوفيّين.[٢]

وورد قوله: (وهو بعيد في العربية) في موضعين[٣]، ومثاله: قول مكيّ: **"قوله: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ﴾** [البقرة: ٥٣]... قيل: الفرقان القرآن، والتقدير: وآتينا محمدا الفرقان. وهو قول الفراء وغيره، **وهو بعيد في العربية**؛ إذ لا يجوز مثل هذا الإضمار، وردَّه جماعة".[٤]

---

(١) نفسه، (١/ ١٤٥).

(٢) ابن مجاهد، أحمد بن موسى، (١٤٠٠هـ)، السبعة في القراءات، الطبعة: الثانية، مصر، دار المعارف، (ص١٣٦).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٢٦٩)، (٣/ ١٩١٠).

(٤) السابق، (١/ ٢٦٩).

مناط واستبعاد مكي لتفسير الفراء وغيره يعود إلى أن هذا الإضمار غير جائز في العربية، فيرى مكي أن إضمار اسم النبي محمد ﷺ في هذا السياق غير متوافق مع قواعد العربية؛ لأن سياق الآية في موسى -عليه السلام-، ولا يجوز مثل هذا الإضمار إلا بدليل صريح أو سياق يسوِّغ ذلك.

ثانيا: مردود، أو: ويرد هذا، أو: ويرد هذا القول، أو: وهذان القولان يردهما كذا.

وقد ورد (مردود) في عشرة مواضع(١)، ومثاله: قول مكيّ: "وقوله: ﴿**ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ**﴾ [الحشر: ٢٣]، يريد: ذو العزة والمنع، الذي يجبر خلقه على ما يشاء، من أجبر، **وهذا قول مردود**؛ لأن فَعّالا لا يكون من أفعل، ولكنه من: جَبَرَ الله خلْقَه؛ أي: نَعَشَهُم".(٢)

ومأخذ ردِّ مكي لهذا التفسير يرجع إلى أن لفظ "الجبار" لا يتأتَّى أن تكون مأخوذة من صيغة "أفعل"، بل هي من "جَبَرَ الله خلقه" بمعنى أنه: قام بإصلاحهم أو رعاهم، وليس من الإجبار، إذ سياقُ ذكر الجبّار يشير إلى صفة تتعلق بالعظمة والقدرة، وليس صفةً دالةً على الإكراه والقسر.

وقد ورد قوله: (ويَرُدُّ هذا، أو: ويَرُدُّ هذا القول) في موضعين(٣)، ومثاله: قول مكيّ: "معنى ﴿**وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ**﴾ [البقرة: ٨٧]: جبريل...وعن ابن زيد(٤) هو الإنجيل؛ لأن الله تعالى سمي القرآن روحا في قوله: ﴿**أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا**﴾ [الشورى: ٥٢] . **ويرد هذا القولَ** قولُه: ﴿**إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ**

(١) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٥١٠)، (٣/ ١٦٦٩)، (٤/ ٢٦٣٦)، (٧/ ٤٨٠٠)، (٨/ ٥٢١٩).

(٢) السابق، (١١/ ٧٤١٠).

(٣) نفسه، (١/ ٣٤١)، (١/ ٦٤٦).

(٤) عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدويّ، مولاهم المدنيّ، ضعفوه. له: «التفسير» و «الناسخ والمنسوخ». مات سنة اثنتين وثمانين ومائة. الداوودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، (١/ ٢٧١).

﴿ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]،وقوله بعدها: ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ١١٠]. فدَلَّ على أن روح القدس غير الإنجيل..."[١]

فردَّ مكيٌّ تفسير "روح القدس" بالإنجيل؛ بأن الآية في سورة المائدة تميز بين "روح القدس" والإنجيل؛ حيث ذَكَرت الآية الكريمةُ الكتابَ والحكمة والتوراة والإنجيل على وجهٍ منفصل، مما يقتضي أن "روح القدس" ليس هو "الإنجيل"، بل هما أمران متمايزانِ، فقال بعضهم: إن المراد بروح القدس جبريل –عليه السلام–، وقال آخرون: هو الاسم الذي كان عيسى يحيي به الموتى، وقد رجح ابن جرير القول بأنه جبريل –عليه السلام–؛ معللا ذلك بأنه لو كان الروح الذي أيده الله به هو الإنجيل، لكان في الآية تكرير قول لا معنى له.[٢]

وقد ورد (وهذان القولان يردهما) في موضع واحد، في قول مكيّ: قوله: ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾ [الأنفال: ٦٠] يعني بني قريظة. وقيل: هم أهل فارس. وهذان القولان يردهما قوله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ﴾؛ لأن المؤمنين على علم ببني قريظة وبفارس.[٣]

ومناط ردِّ مكي للقولين القائلين بأن ﴿وآخرين من دونهم﴾ في الآية يشير إلى بني قريظة أو أهل فارس: هو أن الآية نفسها تدلُّ على أن المؤمنين كانوا يعلمونَ حالَ بني قريظة وفارس؛ حيث جاء في قوله تعالى: ﴿لا تعلمونهم﴾، مما يردّ هذين القولين، ويُبيّن أن المقصود ليس واحدًا منهما.

وهناك صيغ نقدية متنوعة أخرى؛ جاءت في تفسير مكي؛ حيث تنوعت هذه الصيغ بين تعبيرات مختلفة تميَّز كل منها بنقدٍ لرأيٍ تفسيري أو لغوي، وعلى الرغم من تنوع هذه الصيغ، إلا أنني سأكتفي هنا بإيرادها فقط دون التطرق إلى توضيح

(١) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٤١).

(٢) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، (٢/ ٣٢٠ - ٣٢٢).

(٣) القيسي، مكي، الهداية،(٤/ ٢٨٦٦).

مَأْخَذِ مكيّ في هذه الآراء؛ إذ الهدف من ذلك هو إعطاء القارئ فرصة للاطلاع على الأساليب النقدية المتنوعة التي استخدمها مكي، ولأن تحليل جميع هذه الصيغ قد يخرجُ بالبحث إلى حدِّ الطّول المفرطِ.

ثالثا: قول ضعيف مردود، أو: وهو قول ضعيف، أو: وهذا ضعيف، أو: وهذا القول يضعفه كذا.

وقد ورد قوله: (قول ضعيف مردود) في موضع واحد، وذلك في تفسير مكي لقوله: ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [النساء: ٢٤]، فقد ذكر أن سيبويه حمل (كتابَ) على أنه منصوب على المفعولية المطلقة، والمعنى: أن الله قد كتب عليكم ذلك كتابا. وذكر أن ثَمَّتَ احتمالًا آخر؛ وهو أن يكون النصب على الإغراء، بمعنى أن الآية تدعو إلى التزام كتاب الله واتباعه بوجهٍ مؤكَّدٍ. وردَّ مكي هذا القولَ الأخيرَ، وجعله قولاً ضعيفًا ومردودًا، وذلك لعدم تناسب هذا التفسير مع السياق اللغوي والبلاغي للآية[1] .

وورد قوله: (وهو قول ضعيف) في موضع واحد، في تفسير قوله تعالى: ﴿قال هذا ربي﴾ [الأنعام: ٧٦]؛ حيث ذكر مكي أن بعض العلماء، مثل قطرب، فسروا الآية على أن المعنى هو الاستفهام الإنكاري، أي: أن المقصود: "أهذا ربي؟". وردَّ مكي هذا التفسير وعدَّهُ قولاً ضعيفًا[2]، وذلك لأنَّ تفسير الاستفهام الإنكاري في هذا السياق لا يتناسب مع السياق البلاغي للآية.

وورد قوله: (وهذا ضعيف) في موضع واحد، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم﴾ [مريم: ٣٦]، فقد ذكر مكي أن من فتح "أن" في الآية، فإنَّ المعنى على التعليل، أي: "ولأن الله". وقال بعض أهل العلم إن "أن" في موضع

(١) القيسي، مكي، الهداية، (٢/ ١٢٨١).
(٢) السابق، (٣/ ٢٠٨٣).

رفع، عطف على "عيسى"؛ ليكون المعنى: "ذلك عيسى، وذلك أن الله". ولكن مكيًّا ردَّا هذا القول وعدَّهُ ضعيفًا(١).

وورد قوله: (وهذا القول يضعفه كذا) في موضع واحد، في قول مكيّ: قيل معنى:﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]: إبراهيم سماكم المسلمين؛ لأن إبراهيم عليه السلام قال: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة: ١٢٨].**وهذا القول يضعفه قوله من قبل: ﴿وَفِى هَٰذَا﴾** [الحج: ٧٨]، أي إن إبراهيم سمانا مسلمين من قبل القرآن وفي القرآن، والقرآن نزل بعد إبراهيم، **فهذا بعيد...**(٢)

وهذا فيه ملحظٌ دقيقٌ؛ حيث إنَّ الضمير وإن كان الأصل أن يعود على أقرب مذكورٍ وهو هنا إبراهيم –عليه السلام–، إلّا أنَّه قد منع مانعٌ من عودِ الضَّمير عليه؛ وهو الذي نص عليه مكيٌّ؛ من أن اسم الإشارة (هذا) يُراد به القرآن، ومعلومٌ أن إبراهيم –عليه السلام– لم يُسمِّنا في القرآن؛ إذ القرآن نزل بعدَهُ بأزمنةٍ متطاولةٍ.

رابعا: ليس بشيء.

ورد هذا اللفظ من صيغِ النقد في أربعة مواضع(٣)، ومثاله: قول مكيّ: "والهاء في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٨٤] تعود على الصيام، أو الإطعام، **وليس بشيء**".(٤)

خامسا: يمنع من هذا القول كذا.

وقد ورد في موضع واحد، في قول مكيّ في تفسير قول الله تعالى:

---

(١) نفسه، (٤٥٣٩/٧، ٤٥٤٠).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٤٩٣٩/٧، ٤٩٣٩).

(٣) السابق، (١/ ٥٩٨)، (٨/ ٥٢٠٠)، (٨/ ٥٣٩٦)، (١١/ ٧١٦٤)، (١٢/ ٧٥٤٨).

(٤) نفسه، (١/ ٥٩٨).

﴿وَٱلۡعَٰكِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥]: أنَّهم الجالسون من غير طواف، في قول عطاء. والمصلون، في قول ابن عباس. قال مكيّ: "**وقوله: ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾** [البقرة: ١٢٥] **يمنع من هذا القول...**"(١).

سادسا: وفيه نظر، أو: وهذا استدلال فيه نظر.

وقد ورد قوله: (وفيه نظر) في موضع واحد، في قول مكيّ: "معنى قوله: ﴿وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾ [الزمر: ٧]: لعباده الذين حبّب إليهم الإيمان وأخلصهم لطاعته. أو هو عام للجميع، **وهو المختار**؛لأنه تعالى لا يرضى الكفر لأحد من خلقه.فإن كان معنى **﴿يَرۡضَىٰ﴾**: يريد، حسن القول الأول، **وفيه نظر**"(٢)

وقد ورد قوله: (وهذا استدلال فيه نظر) في موضع واحد أيضا، في قول مكيّ: "استدل ابن عباس على أنها ليلة السابع والعشرين بقوله تعالى: **﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾** [القدر: ٥] وأن كلمة (هي) الكلمة السابعة والعشرون من السورة، وليلة القدر ليله السابع والعشرين من الشهر، **وهذا استدلال فيه نظر إن صح عنه**".(٣)

وفي اعتراض مكِّيٍّ نظرٌ؛ إذ لو صحَّ ذلك عن ابن عباس –رضي الله عنهما– لا يُحمل ذلك منه على أنه استدلالٌ على سبيل الاستقلال، وإنَّما استئناسٌ واستراحٌ لذلك، وأنَّ الذي عوَّل عليه أدلَّةٌ أخرى ثبتت عنده في تعيينها.(٤)

---

(١) نفسه، (١/ ٤٣٤).

(٢) نفسه،(١٠/ ٦٣٠٢).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (١٢/ ٨٣٧١).

(٤) من نحو ما روي أن عمر سأل الصحابة ثم قال لابن عباس: غص يا غواص فقال زيد بن ثابت: أحضرت أولاد المهاجرين وما أحضرت أولادنا فقال عمر: لعلك تقول: إن هذا غلام، ولكن عنده ما ليس عندكم. فقال ابن عباس: أحب الأعداد إلى الله تعالى الوتر، وأحب الوتر إليه السبعة، فذكر السموات السبع، والأرضين السبع، والأسبوع، ودركات النار، وعدد الطواف، والأعضاء السبعة، فدل على أنها السابعة والعشرون، وما نقل أيضا عن ابن عباس، أنه قال: ليلة القدر تسعة أحرف، وهو مذكور ثلاث مرات، فتكون السابعة والعشرين. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (١٤٢٠ هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (٣٢/ ٢٣٠).

سابعا: هذا قول مرغوب عنه، أو: قولهم مرغوب عنه.

وقد ورد قوله: (قول مرغوب عنه) في موضعين(١)، ومثاله قول مكيّ: قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. زعم بعضهم أنه في خصوص إحياء الموتى ومسخ الكفار ونحو ذلك؛ لأن الأمر يكون لموجود لا لمعدوم، **وهذا قول مرغوب عنه.**(٢)

وورد قوله: (قولهم مرغوب عنه) في موضع واحد، في تفسير قوله: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: أن لن نعاقبه ونضيق عليه...أو فظن أنْ لن نعاقبه بالعذاب الذي أصابه، في قول ابن عباس، وعنه ظن أَن لن نقضي عليه عقوبة أو بلاء فيما صنع بقومه؛ حيث غضب عليهم وتركهم. أو فظن أن لن نعاقبه. وهذه الأقوال هي الاختيار؛ لبُعْدِ أن يصف نبيٌّ من أنبياء الله تعالى ربَّهُ سُبحانهُ بالعجز، وقد ذهب إلى هذا جماعة، **وقولهم مرغوب عنه.**(٣)

ثامنا: وهذا غلط، أو: وهو غلط، أو: غلط منه، أو: غلط منهم، أو: غلط عند النحويين، أو: غلط عند البصريين، أو: غلط ظاهر، أو: وقد غلط قوم، أو: وهو عند بعض أهل اللغة غلط، أو: وهو غلط عند الخليل وسيبويه.

وقد وردت هذا الألفاظ بمجموعها في خمسة وأربعين موضعا(٤)، ومن أمثلتها: قول مكيّ: ذهب أبو حاتم في قوله: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥] ... إلى الوقف على (أخفيها). ثم الابتداء﴿لِتُجْزَىٰ﴾ بجعل اللام هنا لام قسم. **وذلك غلط ظاهر.**(٥)

---

(١) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٤١٥)، (٢/ ١٠٠٩).

(٢) السابق، (١/ ٤١٥).

(٣) نفسه، (٧/ ٤٨٠٤، ٤٨٠٥).

(٤) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٩٠)، (٢/ ١٤٨١)، (٤/ ٢٣٧١)، (٥/ ٣٢٣٥)، (٧/ ٤٦٢٥)، (٧/ ٤٦٧٦)، (١٠/ ٦٤٨٩)، (١١/ ٧٤٠٦)، (١٢/ ٧٨٥٦).

(٥) السابق، (٧/ ٤٨٠٤، ٤٨٠٥).

تاسعا: فساد قول من زعم كذا، أو: ويدل على فساد قولهم، أو: دليلٌ على فساد قول من قال كذا.

وقد وردت هذا الألفاظ بمجموعها في خمسة مواضع(١)، ومن أمثلتها: قول مكيّ :معنى﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]: ليسوا بخارجين من النار أبداً...**وهذه الآية تدل على بطلان قول من زعم أن عذاب الله سبحانه له حدٌّ ونهاية للكفار**.(٢)

عاشرا: قول شاذ، أو: وهو شاذ.

وقد ورد في سبعة عشر موضعا(٣)، ومثاله قول مكيّ: الإتيان فى قوله:﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠] يكون يوم القيامة عند أكثرهم. أو أن ذلك عند الموت، كما وردعن قتادة، **وهو قول شاذ.**(٤)

حادي عشر: لحن لا يجوز، أو: لحن عند أهل العربية، أو: وهو لحن، أو: وهو لحن عند النحويين.

وقد وردت بمجموعها في ثمانية مواضع(٥)، ومثاله قول مكيّ: قوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]. ورد: (حُسْنَى) بغير تنوين، فيما حكاه الأخفش، **وهو لحن لا يجوز**؛ لأنه لا يقال إلا بالألف واللام.(٦)

ثاني عشر: فيه تعسف، أو: وفي هذه التأويلات بُعْدٌ وتعسف وغلط ظاهر.

---

(١) نفسه، (١/ ٥٤١) مرتين، (٣/ ١٨٩٣)، (٤/ ٣٠٠١)، (٦/ ٤٠٣٠).

(٢) نفسه،(١/ ٥٤١).

(٣) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٦٣٣)، (١/ ٦٨٩)، (١/ ٧٧١)، (١/ ٨٠٣)، (١٠/ ٦٦٤٩).

(٤) السابق، (١/ ٦٨٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٣٣٢)، (١/ ٩١١)، (٣/ ٢٠٦٤)، (٣/ ٢٠٨٧).

(٦) السابق، (١/ ٣٣٢).

وقد وردت في موضعين[١]، ومثاله قول مكيّ: معنى قوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الحديد: ١٢]: بشراكم اليوم جنات، أي تبشرون بجنات فأبشروا بها.وقيل: (جنات) بالنصب على القطع، و(اليوم) خبر الابتداء، فيما أجازه الفراء.كما أجاز رفع (اليوم) على الخبر،و(بشراكم) في موضع نصب،والمعنى: يبشرهم ربهم بالبشرى، وجنات منصوب بالبشرى، **وفي هذه التأويلات بعد وتعسف وغلط ظاهر**.[٢]

ثالث عشر: رواية تخالف قول جميع المفسرين.

وقد ورد في موضع واحد، في قول مكيّ: معنى قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]: وادي يسيل من صديد أهل النار توعد الله به الساهين عن صلاتهم الذين لا يريدون بها وجه الله. وقيل: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، روي عن ابن عباس، **وهذه رواية تخالف قول جميع المفسرين**.[٣]

رابع عشر: وهذه دعوى لا دليل يصحبها من أثر ولا نظر.

وقد ورد في موضع واحد، في قول مكيّ: معنى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]:لا تدركه بالنهاية والإحاطة...أولا تدركه مثل إدراكه خلقه؛لضعف أبصارهم. أولا تدركه في الدنيا ولا تدركه في الآخرة، أي: لا يرونه بها بأبصارهم هذه، ولكن يحدث لهم الله حاسة يرونه بها في الآخرة. **وهذه دعوى لا دليل يصحبها من أثر ولا نظر**، والله –عز وجل– قادر على كل شيء.[٤]

(١) القيسي، مكي، الهداية، (١٢/ ٨١٢٩)، (١١/ ٧٣١٤).
(٢) السابق، (١١/ ٧٣١٤).
(٣) نفسه، (١٢/ ٨٤٦١).
(٤) نفسه،(١٢/٧٨٨٥، ٧٨٨٦).

المبحث الثاني:

أسس النقد ومجالاته في تفسير الهداية إلى بلوغ النهاية.

المطلب الأول: أسس النقد في تفسير الهداية.

تعددت أسس النقد التي أقام عليها مكي تفسيره، وكان من أبرزها ما يلي:

أولا: الجمع بين الأقوال، بعد بيان وجاهة كل قول ودليله:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]. أي بتكذيبهم محمدا ﷺ أو بتكذيبهم الرسل، ويدل على صحة قراءة: {يُكَذِّبُونَ}[١] بتشديد الذال، ويدل على قوة هذه القراءة أن موجب العذاب الأليم هو التكذيب لا الكذب. كما أن السياق في الحديث عنهم بالشك أولا، والشك هو المناسب للتكذيب، فعلى هذا القول هو الأنسب والأولى بآخر الآية.

وأما قراءة: {يَكْذِبُونَ} بالتخفيف؛ فقد استُدِل لها بأن الله أخبر عنهم بزعمهم الإيمان، ثم نفاه عنهم بقوله: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. فكذبوا في ادعائهم الإيمان، وتوعَّدهم على هذا بالعذاب الأليم، وهذا يناسب الكذب لا التكذيب؛ حيث لم يسبق الحديث عن التكذيب.

والقراءتان قويتان متداخلتان حسنتان؛ لأن المَرَض هو الشك، ومن شك في شيء فقد كذَّب به.[٢]

حاصل ما تقدَّم من كلام مكيِّ بن أبي طالب –رحمه الله–: أنَّهُ قد أحسن تناول القراءتين في هذه الآية؛ حيث أبرز المعنى المستفاد من كل قراءة وما يناسبها من السياق، فقراءة {يُكَذِّبُونَ} بالتشديد تؤكد على موجب العذاب الأليم

---

(١) قَرَأَ نَافِع وَابْن كثير وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر: {بِمَا كَانُوا يُكذِّبُون} بتَشْديد الذَّال وَضم الْيَاء، وَقَرَأَ عَاصِم وَحَمْزَة وَالْكسَائِيّ:{يَكذِبُون} خَفِيفَة بِفَتْح الْيَاء وَتَخْفِيف الذَّال. ابن مجاهد، أحمد بن موسى، (١٤٠٠هـ)، السبعة في القراءات، (ص١٤٣).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (١/١٥٤، ١٥٥).

الذي هو التكذيب، بما يتلاءم مع الشك الوارد في سياق الحديث عنهم. أما قراءة {يَكْذِبُونَ} بالتخفيف، فتتلاءم مع نفي صدق ادعائهم الإيمان الذي سبق ذكره. وقد جمع مكيّ بين القراءتين، موضحًا أن كلتيهما قوي وحسن؛ إذ يعكس كل منهما جانبًا من حال المنافقين، فالشك الذي في قلوبهم قادهم إلى التكذيب من جهة، وإلى الكذب من جهة أخرى؛ ليكون الجمع بين القراءتين إثراءً لمعاني النص القرآني ودقةً في تصوير واقع هؤلاء المنافقين.

ثانيا: نقد القول لمخالفته لظاهر القرآن:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: المراد بالزوجين في قوله: ﴿**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ**﴾ [الرعد: ٣]: النوعين، والزوج يطلق على الواحد الذي له قرين، كما يطلق على الصنف والنوع. وقيل: المراد بالزوجين: الذكر والأنثى من كل صنف، قاله أبو عبيدة والفراء، وهذا خلاف ظاهر النص؛ لأنه –عز وجل– إنما ذكر الثمرات، ولم يذكر الحيوان...[(١)]

يتبين من كلام مكيّ –رحمه الله– أن قوله في تفسير الزوجين بالنوعين هو الأقرب إلى ظاهر النص القرآني؛ حيث إن الآية تتحدث عن الثمرات، ولم يرد فيها ذكر للحيوان، مما يجعل تفسير الزوجين بالذكر والأنثى من كل صنف –كما ذهب إليه أبو عبيدة والفراء– غير متسق مع السياق. وبهذا يُرجَّح أن المراد بالزوجين في الآية هو التنوع الذي يبرز عظمة خلق الله تعالى وتنوعه، لا اختلاف الأنواع إلى ذكر وأنثى. وهذا التوجيه يعكس دقة مكيّ في مراعاة سياق النصوص، وحرصه على التفسير بما يتلاءم مع دلالات الألفاظ وسياقاتها.

ومن أمثلته أيضا: قول مكيّ: الخطاب في قوله: ﴿**وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ**﴾ [البقرة:٢٣١] للأزواج، ومعنى البلوغ على هذا القول: المقاربة. وقيل هو

(١) القيسي، مكي، الهداية، (٥/ ٣٦٦٦).

خطاب للأولياء، ومعنى البلوغ على هذا القول: التمام. والأنسب كونه خطاباً للأزواج...وظاهر الآية يدل عليه... وهو ظاهر الخطاب.(١)

يتضح من كلام مكيّ –رحمه الله– أن القول بكون الخطاب في الآية موجّها للأزواج هو الأرجح؛ إذ إن ظاهر النص يؤيده بوضوح. فالآية تخاطب مَن لهم حق الإمساك أو التسريح بمعروف، وهو حق يختص به الأزواج دون الأولياء. وبهذا يتبين أن تأويل الخطاب للأولياء بعيد عن ظاهر النص؛ لأن سياق الآية يتحدث عن الأحكام المتعلقة بالعلاقة الزوجية المباشرة. وهذا التوجيه يعكس عناية مكيّ بدقة الاستنباط من النصوص الشرعية، ومراعاة المعنى الأقرب إلى الظاهر والسياق، بما يحقق انسجامًا تامًا مع أحكام الشريعة ومقاصدها.

ثالثا: نقد القول لمخالفته للأحاديث النبوية الصحيحة:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: المراد بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٠]: الوطء بالعقد الصحيح؛ لقوله ﷺ: حَتَّى تَذُوقَ عُسَيْلَتَهُ(٢)، والمراد بقوله: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ ﴾ [البقرة:]: من بعد الطلقة الثالثة...وقيل: إذا نكحت نكاحاً صحيحاً لم يُرَد به التحليل حلت به له، وإن لم يقع وطء، وهو قول ابن المسيب، وهو شاذ.(٣)

فقد خَلُص مكيّ –رحمه الله– إلى أن قول ابن المسيب بأن المرأة تحل لزوجها الأول بمجرد نكاحها نكاحًا صحيحًا، وإن لم يقع وطء، هو قول شاذ؛

(١) السابق، (١/ ٧٧٢).

(٢) أصله في الصحيحين بلفظ: (**أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟ لَا، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَيَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ**). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب شَهَادَةِ الْمُخْتَبِي، (٢/ ٩٣٣) حديث «٢٤٩٦» (البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، صحيح البخاري، الطبعة: الخامسة، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب لا تحل المطلقة ثلاثا لمطلقها حتى تنكح زوجا غيره ويطأها، ثم يفارقها، وتنقضي عدتها، (٢/ ١٠٥٥) حديث: «١٤٣٣»، (النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري،(١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م)، صحيح مسلم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه).

(٣) القيسي، مكي، الهداية، (١/ ٧٧٢).

لمخالفته صريح الحديث النبوي المتقدِّم، المصرِّح بأن الحلّ لا يتحقق إلا بالوطء. ويبرز هذا النقد دقة مكيّ في الالتزام بالنصوص الشرعية الواضحة، وحرصه على بيان الأحكام بما يتفق مع السنة الصحيحة، مما يؤكد على عمق فقهه وسلامة استدلاله في استنباط الأحكام.

رابعا: نقد القول لمخالفته للإجماع:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: زعمت المعتزلة والقدرية في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾ [المائدة:٤١] أن الله لم يرد كفر أحد، وأراد إيمان جميع الخلق، فكان ما لم يرد، ولم يكن ما أراد، وقد قالالله: ﴿لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ [الأنعام: ٣٥]... وفي كتاب الله من هذا ما لا يحصى، أخبر أن جميع ما أراده فهو كائن، وأن جميع الحوادث لا تخرج عن إرادته ومشيئته، ولو شاء لكانت على خلاف ما وقعت.

فعَاندت المعتزلة عن ذلك وخالفته، وقالت: وقع الكفر من الكافر على غير ما أراده الله، وقد أجمع المسلمون على قولهم: (ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن).وخالفت المعتزلة إجماع الأمة...[١]

خَلُصَ مكيّ –رحمه الله– إلى أن زعم المعتزلة والقدرية بأن الله لم يرد كفر أحد وأراد إيمان جميع الخلق هو قول باطل، يخالف صريح النصوص وإجماع الأمة. فقد بيّن القرآن الكريم بوضوح أن جميع ما أراده الله كان، وأن الحوادث لا تخرج عن إرادته ومشيئته، وليس كما زعمت المعتزلة من أن من الحوادث ما وقع على خلاف إرادته. وقد استدل مكيّ على ذلك بإجماع المسلمين على قولهم: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

(١) القيسي، مكي، الهداية، (٣/١٧١٧ – ١٧٢٠) باختصار.

خامسا: نقد القول لمخالفته لقول جمهور المفسرين:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ:معنى قوله تعالى: ﴿**فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤-٥]: وادي يسيل من صديد أهل النار توعد الله به الساهين عن صلاتهم الذين لا يريدون بها وجه الله. وقيل: هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، روي عن ابن عباس، **وهذه رواية تخالف قول جميع المفسرين.**(١)

فقد نقد مكيّ -رحمه الله- القول المنسوب إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- بأن المراد بالساهين عن صلاتهم في الآية هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها، مبينًا أن هذا التفسير يخالف ما ذهب إليه جمهور المفسرين الذين رأوا أن السهو عن الصلاة في الآية يشير إلى الغافلين عن إخلاص النية فيها، والذين لا يريدون بها وجه الله تعالى.

وقد عنونتُ هذه الفقرة بـ "**نقد القول لمخالفته لقول جمهور المفسرين**"، لأن وصف مكيّ هذا القول بمخالفة جميع المفسرين ليس منه حكاية إجماع؛ إذ إن ابن عباس -رضي الله عنهما- وهو ممن يعتد بقوله- قد خالف، ولا ينعقد الإجماع مع وجود هذه المخالفة. ومع ذلك، فإن مكيّا رجح رأي الجمهور القائلين إن السهو في الآية يشير إلى الغفلة عن إخلاص النية في الصلاة، وهو معنى يتناسب مع سياق التحذير الشديد الذي تضمنته الآية.

سادسا: نقد القول لمخالفته لدلالة السياق:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: وقوله: ﴿**تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۚ**﴾ [الأنعام: ٩١]أراد بهم اليهود حيث أخفوا ما أرادوا من

(١) السابق، (١٢/ ٨٤٦١).

التوراة، وأبدوا منها ما شاؤوا. واختار الطبري[١]أن الخطاب لقريش، **حيث إن السياق في الحديث عنهم، ولم يسبق ذكر اليهود.**[٢]

انتهى مكيّ –رحمه الله– إلى نقد القول بأن المراد في الآية الكريمة هم اليهود الذين أخفوا ما شاؤوا من التوراة وأبدوا منها ما أرادوا، وبيّن أن هذا القول يتعارض مع دلالة السياق القرآني؛ إذ إن الحديث في الآيات السابقة كان موجّهًا إلى قريش دون الإشارة إلى اليهود.

وقد رجّح مكيّ ما ذهب إليه الطبري من أن الخطاب في الآية لقريش، مؤكّدًا على أهمية مراعاة السياق في تفسير النصوص؛ حيث إن الحديث عن قريش في سياق اتهامهم بتحريف الحقائق يلائم ذكر "القرطاس" باعتباره وسيلةً للإخفاء والإظهار بما يحقق مصالحهم. وهذا الترجيح يتّسق مع الأسلوب القرآني الدقيق الذي يُراعي ترتيب المعاني وتناسقها.

سابعا: نقد القول بنسخ الآية:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: المرادبقوله تعالى: ﴿**إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ**﴾ [البقرة: ٢٣٥: التعريض المذكور. وقيل:إنها منسوخة بقوله: ﴿**وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ**﴾ [البقرة: ٢٣٥]،قاله ابن زيد: **وذهب أكثر الناس إلى أنها محكمة،** وأنها في خصوص التحذير من عقد النكاح في فترة العدة، مع جواز التعريض.[٣]

وأيضا قول مكيّ: قوله تعالى: ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا**﴾ [الفرقان:٧٠]. روي

(١) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، (٩/ ٣٩٧).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٣/ ٢١٠٠).

(٣) السابق، (١/ ٧٨٩).

أنها نزلت في بعض المشركين الذين أرادوا الدخول في الإسلام، وقد ارتكبوا ذنوبا قبل إسلامهم، فخافوا ألا ينفعهم إسلامهم مع ما اقترفوه في كفرهم، فنزلت هذه الآية، ونزلت: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣]، ونزلت: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [مريم: ٦٠]، فهي في خصوص من أسلم، وقد ارتكب شيئا من الكبائر قبل إسلامه، ويدل هذا قوله:﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾،حيث جمع بين الإيمان والتوبة.

وقيل: إنها منسوخة بالآية الواردة في النساء،وأن آية النساء نزلت بعدها بستة أشهر، قاله زيد بن ثابت.

وقيل: بين السورتين ثماني حجج، فيما قاله الضحاك. **قال مكيّ: اقترن الإيمان بالتوبة دليل على كونها محكمة في خصوص الكفار، وآية النساء في خصوص المؤمنين الذين يقتلون المؤمنين، فكلتاهما محكم غير منسوخ في وجه النظر.**(١)

ومما تقدَّم يظهر منهج مكيّ –رحمه الله– في التعامل مع القول بالنسخ؛ حيث يميل إلى التدقيق في دلالات النصوص وسياقاتها، ويحرص على إثبات المحكمات في مواضعها مع ردّ دعاوى النسخ التي لا تستند إلى أدلة قوية، فقد رأى أن الجمع بين النصوص، مع اعتبار خصوصياتها وسياقاتها، أولى من افتراض النسخ دون ضرورة ملجئة. وهذا المنهج يعكس فهما عميقا لدلالة النصوص القرآنية، مع التزام بالدقة في الاستنباط والتمسك بأصول التفسير القائمة على التوفيق بين الآيات بدل ترجيح بعضها على بعض دون مستند.

ثامنا: نقد القول لعدم الدليل:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ: معنى قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ

(١) القيسي، مكي، الهداية، (٥٢٥٨/٨ – ٥٢٦٠).

﴿ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] لا تدركه بالنهاية والإحاطة...أولا تدركه مثل إدراكه خلقه؛ لضعف أبصارهم. أولا تدركه في الدنيا ولا تدركه في الآخرة، أي: لا يرونه بها بأبصارهم هذه، ولكن يحدث لهم الله حاسة يرونه بها في الآخرة. وهذه دعوى لا دليل يصحبها من أثر ولا نظر، والله عز وجل قادر على كل شيء.(١)

يُظهر قول مكيٍّ –رحمه الله– على هذا القول التزامه بالمنهج العلمي الدقيق في التفسير؛ حيث يُبرز أهمية استناد الأقوال إلى دليل صريح من النصوص الشرعية، لا سيَّما فيما يتعلق بالعقائد والغيبيَّاتِ، فمجرد الدعوى التي تخلو من أثر نقلي يُضْعِفُ مكانَتها في ميدان التفسير.

تاسعا: نقد القول للعدول في كلام الله عن الحقيقة إلى المجاز بلا قرينة ظاهرة:

ومن الأمثلة الدالة على ذلك: قول مكيّ:﴿فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٦]... المأمور بالذهاب موسى وحده، فهو كقوله: ﴿نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾ [الكهف: ٦١]، والناسي فتى موسى عليه السلام وحده، وكقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]، واللؤلؤ والمرجان يخرجان من الملح وحده، قاله الفراء.

وهذا قول مردود؛ لأنه قد كرر إرسال هارون مع موسى إلى فرعون في كثير من الآيات، فلا يحتاج فيه إلى هذا المجاز.(٢)

وكلام مكيّ في هذا السياق يعكس حرصه على التمسك بالدلالة الظاهرة للنصوص وعدم التسليم بتفسير مجازي لا يستند إلى قرينة قاطعة، ففي حين أن بعض أهل التفسير قد يميلون إلى تأويل الآيات اعتمادًا على المجاز؛ لتوجيه

(١) السابق ، (١٢/٧٨٨٥، ٧٨٨٦).

(٢) القيسي، مكي، الهداية، (٨/ ٥٢١٩).

النصوص، من غير قرينة صارفة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، إلا أن مكيًّا يرى أن هذا العدول عن الحقيقة إلى المجاز بلا دليل واضح يُضعف الاستدلال ويُجافي السياق القرآني. كما أن ذكر هارون مع موسى في العديد من المواضع القرآنية يُعزز من ضرورة الأخذ بالمعنى الظاهر؛ حيث إن القرآن قد بيّن في مواضع متعددة أن هارون كان وزيرًا لموسى –عليه السلام– في رسالته الإلهية، على ما صرَّح به قوله تعالى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي﴾ [طه: -].

المطلب الثاني: مجالات النقد في تفسير الهداية.

تعددت مجالات النقد في تفسير مكي، وكان من أبرزها ما يلي:

أولا: ما يتعلق بالقرآن الكريم:

كان مكيّ ناقدًا دقيقًا في تفسيره للقرآن الكريم؛ حيث كان يحرص على الالتزام بالمعنى الظاهر للنصوص القرآنية ويعدُّه الأصل الأساس، مع التأكيد على ضرورة الاستناد إلى أدلة قوية أو قرائن واضحة. كان يرفض التفاسير التي تخالف دلالة الآيات القرآنية الصريحة أو تحيد عن السياق العام للآية، معتبرًا أن فهم القرآن لا يتم إلا من خلال النظر في التداخل والترابط بين الآيات، كما كان يرفض العدول عن المعنى الحقيقي إلى المجاز دون وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي تسوِّغ هذا العدول.

من خلال هذه المنهجية؛ كان يحرص على أن تكون التفاسير متسقة مع المعاني الأصلية للنصوص، بحيث لا يؤدي التفسير إلى تحريف المعنى أو تغييره عن مراد الله تعالى. وقد تقدَّمت أمثلة على ذلك كلِّهِ.[1]

(١) سبق ذكر أمثلة لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني، عند الحديث عن نقد القول لمخالفته لظاهر القرآن ص٢٩

ثانيا: ما يتعلق بالسنة النبوية:

كان لمكيّ –رحمه الله– عناية فائقة بالحديث النبوي الشريف؛ حيث كان لا يقبل أي قول يخالف الحديث الصحيح، وكان يرى أن السنة النبوية تمثل المصدر الثاني بعد القرآن الكريم في التشريع والهدى. لذلك؛ كان نقده الموجه لبعض الآراء أو التفاسير التي تتعارض مع الحديث الصحيح يعكس تمسكه بحجيَّة السنة النبوية وعِظَم منزلتها.

كما كان مكيّ يحرص على أن تكون التفاسير متوافقة مع النصوص الثابتة في السنة النبوية، محذرًا من الاجتهادات التي قد تبتعد عن الأحاديث الصحيحة أو تأخذ بها بما يتنافى مع المقاصد الأصلية للشريعة، وكان يرى أن التفسير لا يمكن أن يقوم إلا على أساس متين من الأحاديث الثابتة، وبذلك كان ينقد أي قول يتعارض مع الحديث الصحيح، مما يعكس منهجه الدقيق والمتوازن في الاستفادة من السنة النبوية في مجال التفسير. وقد تقدم ذكر شواهد على هذا.[١]

ثالثا: ما يتعلق بمخالفة الإجماع أو قول جمهور المفسرين:

مخالفة الإجماع أو قول جمهور المفسرين؛ كانت من المسائل التي اهتم مكيّ بها بعناية في تفسيراته؛ حيث كان يرى –كما يرى غيره– أن الإجماع لا تجوز مخالفته، فقد كان مكيّ حريصًا على أن تكون التفاسير متوافقة مع ما اتفق عليه العلماء؛ إذ الخروج عن الإجماع خروج عن سبيل المؤمنين.

وكان مكيّ يميل في تفسيراته إلى قول الجمهور من المفسرين، ويعتمد عليه في كثير من الأحايين؛ حيث كان يرى في إجماع العلماء وسيلة لضمان صحة الفهم وتجنب التشويش في تأويل النصوص، لكن إذا عرض مسألة فيها خلاف؛

(١) سبق ذكر أمثلة لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني، عند الحديث عن نقد القول لمخالفته للأحاديث النبوية الصحيحة ص٣٠

تأنَّى وتحرَّى، ومال غالبًا في اختياره إلى قول الجمهور، مستأنسًا بأقوالهم ومعتمدًا على ما استقر عليه العلم وشاعَ.

وبذلك كان مكيّ يسعى للحفاظ على وحدة الفهم وتوجيه التفسير بما يضمن أن يكون في حدود ما قرره العلماء وأجمعت عليه الأمة، مما يضمن استقرار تفسير القرآن الكريم على أسس علمية صحيحة ومنهجية متفق عليها.(١)

رابعا: ما يتعلق بالنسخ:

فيما يتعلق بالنسخ؛ كان مكيّ يتبنى منهجًا دقيقًا في التعامل مع مسألة النسخ في القرآن الكريم، فحينما كان يناقش الآيات التي يُتوهَّم أنها منسوخة؛ كان يَعْمِد إلى تحليل السياق والقرائن في النصوص؛ لبيان صحة دعوى النسخ من عدمها. وكان يتجنب القولَ بالنسخ من غير برهانٍ؛ لأنَّ القول بالنسخ فيه إهمال لبعض الأدلَّةِ، وهذا لا يجوزُ سلوكهُ إلا ببيِّنةٍ ظاهرةٍ.(٢)

(١) سبق ذكر أمثلة لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني، عند الحديث عن نقد القول لمخالفته لقول جمهور المفسرين ص٣٠، ٣١

(٢) سبق ذكر أمثلة لذلك في المطلب الأول من المبحث الثاني، عند الحديث عن نقد القول بنسخ الآية ص٣٢، ٣٣

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فقد خلُصت هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، أجملها النقاط الآتية:

أولا: تعددت أساليب النقد في تفسير الهداية لمكي، فتارة ينقد القول ويعزوه إلى قائله، أو يترك عزوه، مع بيان مستند النقد، وتارة يذكر الأقوال معزوةً إلى أصحابها، ويختار منها ما ترجح لديه، مع ذكر الدليل، وتارة يذكر الأقوال من غير عزوها إلى قائليها، ويُوَفِّق بينها، مع ذكر الدليل، وتارة يذكر الأقوال مع عزو بعضها إلى قائليها، وترك بعضها الآخر من غير عزو، وتارة يذكر الأقوال ويذكر اختيار أحد أعلام التفسير لأحدها متابعًا له، مع ذكر الدليل، وتارة يذكر الأقوال، مع التوقف في الترجيح بينها.

ثانيا: تنوعت صيغ النقد في هذا التفسير، وكان منها: هذا بعيد، أو: مردود، أو: قول ضعيف، أو: ليس بشيء، أو: ويمنع من هذا القول كذا، أو: فيه نظر، أو: هذا قول مرغوب عنه، أو: هذا غلط، أو: فساد قول من زعم كذا، أو: قول شاذ، أو: وهو لحن، أو: وفيه تعسف، أو: ورواية تخالف قول جميع المفسرين، أو: وهذه دعوى لا دليل يصحبها من أثر ولا نظر، أو نحو هذه الصيغ.

ثالثا: تعددت أسس النقد في هذا التفسير، وكان من أبرزها: الجمع بين الأقوال، بعد بيان وجاهة كل قول ودليله، ونقد القول لمخالفته لظاهر القرآن، أو لمخالفته للأحاديث النبوية الصحيحة، أو للإجماع، أو لقول جمهور المفسرين، أو لدلالة السياق، أو نقد القول بنسخ الآية، أو نقده لعدم الدليل، أو للعدول في كلام الله عن الحقيقة إلى المجاز بلا ضرورة.

رابعا: تنوعت مجالات النقد في هذا التفسير، وكان من أبرزها: ما يتعلق بالقرآن الكريم، وما يتعلق بالسنة النبوية، وما يتعلق بمخالفة الإجماع أو قول

جمهور المفسرين، وما يتعلق بالنسخ.

خامسا: تميز هذا التفسير في الجانب النقدي، وظهور ذلك بصورة جلية فيه.

سادسا: إن دراسة ملامح النقد في كتب التفسير لها أهمية بالغة في بيان مناهج المفسرين وطرقهم في نقد الأقوال، وبيان راجحها من مرجوحها، والوقوف على الأسس العلمية التي استندوا إليهم في منهجهم النقدي.

وقبل أن أضع قلم البحث، أرغب في إبداء توصياتٍ علمية للباحثين، أجملها في نقطتين اثنتين:

إحداهما: ضرورة العناية بتفسير مكي؛ لما له من أهمية بالغة وقيمة علمية كبيرة، فهو تفسير محرر مدقق، خدم به مصنفه كتاب الله تعالى خدمة جليلة، واجتهد في تحريره وتدقيقه بصورة ظاهرة، فهو مجال خصب للبحث العلمي.

والأخرى: توجيه الباحثين المتخصصين إلى أهمية دراسة ملامح المنهج النقدي في التفسير، من خلال دراسة كتب التفسير المحررة؛ حيث إنه باب من أهم أبواب أصول التفسير، التي ما تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسات والأبحاث العلمية.

والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

* * * * *

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن حجر، (١٤٠٦هـ– ١٩٨٦م)، تقريب التهذيب، الطبعة: الأولى، دار الرشيد – سوريا.

٢. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن إبراهيم، (١٩٠٠–١٩٩٤م)، وفيات الأعيان، دار صادر – بيروت.

٣. ابن مجاهد، أحمد بن موسى التميمي، (١٤٠٠هـ)، السبعة في القراءات، الطبعة: الثانية، مصر، دار المعارف.

٤. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م)، البحر المحيط، بيروت، دار الفكر.

٥. الآلوسي، السيد محمود البغدادي، (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م)، روح المعاني، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.

٦. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م)، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، الطبعة: الثالثة، الأردن، الزرقاء، مكتبة المنار.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م)، صحيح البخاري، الطبعة: الخامسة، دمشق، دار ابن كثير، دار اليمامة.

٨. البغدادي، عبد القادر بن عمر، (١٣٩٣ – ١٤١٤هـ)، شرح أبيات مغني اللبيب، الطبعة: (جـ ١ – ٤) الثانية، (جـ ٥ – ٨ الأولى)، بيروت، دار المأمون للتراث، (١/ ٢٣٥).

٩. البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، (١٤١٨هـ)، أنوار التنزيل، الطبعة: الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٠. الجزري، ابن الأثير، (١٣٩٠ – ١٣٩٣ هـ)، أسد الغابة، كتاب الشعب، القاهرة – مصر.

١١. الخطيب، عبد اللطيف، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م)، معجم القراءات، الطبعة الأولى، دار سعد الدين، دمشق – القاهرة.
١٢. الداني، عثمان بن سعيد الأندلسي، (١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م)، التيسير في القراءات السبع، الطبعة: الأولى، حائل – المملكة العربية السعودية، دار الأندلس للنشر والتوزيع.
١٣. الداودي، محمد بن علي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية – بيروت.
١٤. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، (١٤٢٠ هـ)، مفاتيح الغيب، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥. الرماني، علي بن عيسى بن علي، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٢م)، رسالة منازل الحروف، عمان، دار الفكر.
١٦. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، (١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م)، معاني القرآن وإعرابه، الطبعة: الأولى، بيروت، عالم الكتب.
١٧. السكاكي، يوسف بن أبي بكر، (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م)، مفتاح العلوم، الطبعة: الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
١٨. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، دار القلم، دمشق.
١٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، (١٣٩٤ هـ/ ١٩٧٤م)، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٠. الطبري، محمد بن جرير، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، جامع البيان، الطبعة: الأولى، القاهرة، مصر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
٢١. الفارسيّ، الحسن بن أحمد، أبو علي، (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م)، الحجة للقراء السبعة، الطبعة: الثانية، دمشق، بيروت، دار المأمون للتراث.

٢٢. القفطي، علي بن يوسف، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٢م)، إنباه الرواة، الطبعة: الأولى، القاهرة – بيروت، دار الفكر العربي– ومؤسسة الكتب الثقافية.
٢٣. القيسي، مكي بن أبي طالب، (١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية، الطبعة: الأولى، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة الشارقة.
٢٤. النحاس، أحمد بن محمد المرادي، (١٤٠٩هـ)، معاني القرآن، الطبعة: الأولى، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
٢٥. النحاس، أحمد بن محمد المرادي، (١٤٢١هـ)،إعراب القرآن، الطبعة: الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٦. النيسابوري، مسلم بن الحجاج القشيري، (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م)، صحيح مسلم، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
٢٧. الهُذَلي، يوسف بن علي بن جبارة، (١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م)، الكامل في القراءات العشر، (الطبعة: الأولى)، الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة سما للتوزيع والنشر.

*****